

تفسير البحر المحيط

@ 304 @ وتقدم الكلام في ذلك في قوله تعالى : { يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ }
أَلْفَ سَنَةٍ { ، ومذهب الجمهور أن معمول ود محذوف ، أي ودوا ادهانكم ، وحذف لدلالة ما
بعده عليه ، ولو باقية على بابها من كونها حرفاً لما كان سيقع لوقوع غيره ، وجوابها
محذوف تقديره لسروا بذلك . وقال ابن عباس والضحاك وعطية والسدي : لو تدهن : لو تكفر ،
فيتمادون على كفرهم . وعن ابن عباس أيضاً : لو ترخص لهم فيرخصون لك . وقال قتادة : لو
تذهب عن هذا الأمر فيذهبون معك . وقال الحسن : لو تصانعهم في دينك فيصانعوك في دينهم .
وقال زيد بن أسلم : لو تنافق وترائي فينافقونك ويأؤونك . وقال الربيع بن أنس : لو
تكذب فيكذبون . وقال أبو جعفر : لو تضعف فيضعون . وقال الكلبي والفراء : لو تلين
فيلينون . وقال أبان بن ثعلب : لو تحابي فيحابون ، وقالوا غير هذه الأقوال . وقال
الفراء : الدهان : التلين . وقال المفضل : النفاق وترك المناصحة ، وهذا نقل أهل اللغة
، وما قالوه لا يخرج عن ذلك لأن ما خالف ذلك هو تفسير باللازم ، وفيدهنون عطف على تدهن .
وقال الزمخشري : عدل به إلى طريق آخر ، وهو أن جعل خبر مبتدأ محذوف ، أي فهم يدهنون
كقوله : { فَمَنْ يُؤْمِنْ بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ } ، بمعنى ودوا لو تدهن فهم يدهنون
حينئذ ، أو ودوا ادهانك فهم الآن يدهنون لطمعهم في ادهانك . انتهى . وجمهور المصاحف على
إثبات النون . وقال هارون : إنه في بعض المصاحف فيدهنوا ، ولنصبه وجهان : أحدهما أنه
جواب ودوا لتضمنه معنى ليت ؛ والثاني أنه على توهم أنه نطق بأن ، أي ودوا أن تدهن
فيدهنوا ، فيكون عطفاً على التوهم ، ولا يجيء هذا الوجه إلا على قول من جعل لو مصدرية
بمعنى أن . .

{ وَلَا تَطْغَوْا كُلًّا } : تقدّم تفسير مهين وما بعده في المفردات ،
وجاءت هذه الصفات صفات مبالغة ، ونوسب فيها فجاء { وَلَا تَفِي } وبعده { مَّهِينٌ } ، لأن
النون فيها مع الميم تواخ . ثم جاء : { هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنْدَمِيمٍ } بصفتي المبالغة
، ثم جاء : { مَّذَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ } ، فمناع وأثيم صفتا مبالغة ،
والظاهر أن الخير هنا يراد به العموم فيما يطلق عليه خير . وقيل : الخير هنا المال ،
يريد مناع للمال عبر به عن الشح ، معناه : متجاوز الحد في الظلم . وفي حديث شداد بن
أوس قلت : يعني لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وما العتل الزنيم ؟ قال : الرحيب الجوف
، الوتير الخلق ، الأكل الشروب ، الغشوم الظلوم . وقرأ الحسن : عتل برفع اللام ،
والجمهور : بجرها بعد ذلك . وقال الزمخشري : جعل جفاهه ودعوته أشد معايبه ، لأنه إذا

جفا وغلظ طبعه قسا قلبه واجترأ على كل معصية ، ولأن الغالب أن النطفة إذا خبثت خبث
الناشء منها ، ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا يدخل الجنة ولد الزنا ولا
ولده ولا ولد ولده) ، وبعد ذلك نظير ثم في قوله : { ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ
ءَامَنُوا } . وقرأ الحسن : عتل رفعاً على الذم ، وهذه القراءة تقوية لما يدل عليه بعد
ذلك . انتهى . وقال ابن عطية : { بَعْدَ ذَلِكَ } : أي بعد أن وصفناه به ، فهذا
الترتيب إنما هو في قول الواصف لا في حصول تلك الصفات في الموصوف ، وإلا فكونه عتلاً هو
قبل كونه صاحب خبر يمنعه . انتهى . والزنيم : الملقق في القوم وليس منهم ، قاله ابن
عباس وغيره . وقيل : الزنيم : المريب القبيح الأفعال ، وعن ابن عباس أيضاً : الزنيم :
الذي له زنمة في عنقه كزنمة الشاة ، وما كنا نعرف المشار إليه حتى نزلت فعرفناه بزنمته
. انتهى . وروي أن الأخفش بن شريف كان بهذه الصفة ، كان له زنمة . وروى ابن جبير عن ابن
عباس أن الزنيم هو الذي يعرف بالشر ، كما تعرف الشاة بالزنمة . وعنه أيضاً : أنه
المعروف بالابنة . وعنه أيضاً : أنه الظلوم . وعن عكرمة : هو اللئيم . وعن مجاهد وعكرمة
وابن المسيب : أنه ولد الزنا الملحق في النسب بالقوم ، وكان الوليد دعياً في قريش ليس
من منهم ، ادعاه أبوه بعد ثمان عشرة من مولده . وقال مجاهد : كانت له ستة أصابع في
يده ، في كل إبهام أصبع زائدة ، والذي يظهر أن هذه الأوصاف ليست لمعين . ألا ترى إلى
قوله : { كُلٌّ لَّـفٍ } ، وقوله : { إِنْ زَنَّاعًا يَلَاوَنَاهُمْ } ؟ فإنما وقع النهي عن
طواعية من هو بهذه الصفات . .

قال ابن عطية ما ملخصه ، قرأ النحويان والحرميان وحفص وأهل المدينة : { إِنْ كَانَ }
على الخبر ؛ وباقي السبعة والحسن وابن أبي إسحاق وأبو جعفر : على الاستفهام ؛ وحقق
الهمزتين حمزة ، وسهل الثانية باقيهم . فأما على الخبر ، فقال أبو علي